تاريخ فلسفة الدين في الفكر الغربي

History of philosophy of religion in western thought

منير تواتي[1]
طالب دكتوراه مخبر بحث فلسفة العلوم الإنسانية
جامعة قسنطينة2 عبد الحميد مهري
mounir.touati@univ-constantine2.dz

تاريخ الوصول 27 /2020/04 القبول 2020/10/22 النشر علي الخط 2021/09/15
Received 27 /04/2020 Accepted 22/10/2020 Published online 15/09/2021

ملخص:

تهدف هذه المقالة إلى إبراز أهم مراحل تاريخ فلسفة الدين منذ ظهور التفكير الفلسفي عند اليونان حتى الفلسفة المعاصرة، وهذا من خلال تتبع طريق النظر العقلي والفلسفي للدين، وقد توصلنا في مقالتنا هذه إلى أن التفكير في الدين فلسفيا بالاعتماد على أركان الفلسفة الأساسية كالحرية والعقل والسؤال والنقد، قد عرف بدايته الأساسية مع فتوحات العقل الأوروبي في عصر الحداثة وعصر الأنوار، وكان هذا نتيجة لانتصارات هذا العقل على الخرافة والأسطورة والميتافيزيقا.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الدين، العقلانية الدينية، تاريخ الدين، الفكر الغربي، الدين.

Abstract:

This article aims to highlight the important phases of history of the philosophy of religion ,since the appearance of philosophical thought in Greece to contemporary philosophy, through following the way of philosophical and intellectual reflection on religion, we concluded in our article that thinking on religion philosophically depending on essential pillars of philosophy like freedom, reason, question and criticism, starts with the conquests of the European mind in era of modernity and enlightening, that was a consequence to the triumphs of that reason over myth, legend and metaphysics.

Keywords: Philosophy of Religion; Religious Rationality; History of Religion; Western Thought; Religion.

[1]المؤلف المرسِل: منير تواتي البريد الإلكتروني: mounir.touati@univ-constantine2.dz

1.مقدمة:

إنَّ هذا المبلغ الذي بَلغَتْهُ العقلانية الدينية اليوم يفضي بنا إلى تأمل تلك الجهود السابقة في تاريخ الفكر البشري، والتي أدت إلى وضع لبناتها واحدة تلوى الأخرى حتى أخذت صورتها الراهنة، وبالرجوع إلى المسار التاريخي للتفكير العقلي في الدين، يجعلنا لا نسلك مسارا واحدا بل مسارات متعددة، فرغم أن فلسفة الدين- كتجلٍ للفكر العقلي في الأديان- غالبا ما تُرجَع إلى أصول غربية مسيحية، لكن لا يمكن أن نعد هذا المسار هو الخط التاريخي الوحيد والممكن لكل الإنسانية، إذ هناك فلسفة دين إسلامية ويهودية وبوذية؛ أي فلسفات دين متعددة بتعدد الأديان، وأغلب الدراسات التاريخية لا تلتفت إلى التَشَكُلات الأولى التي أدت إلى ظهور الأنساق المكتملة، كما لا تعير اهتماما لتلك المحاولات غير المكتملة التي سعت لأن تعطي تفسيرات للظواهر التي واجهت إنسان مرحلتها.

إنّ مؤرخ العلم أو الفلسفة يجب عليه أن لا يكتفي بشرح ما هو مشروح من الحقائق التاريخية، بل أن يكتشف تلك الإشارات الخفية، والتاريخ الصامت والجهود الأولية والمحاولات غير الناجحة التي بُني العلم المكتمل على أسسها، والتَأْريخ لأي موضوع يجب أن يأخذ هذه الأمور بعين الحسبان، وفلسفة الدين إذا نظرنا-إبتداءا- إليها كفلسفة مكتملة دون الرجوع إلى التاريخ الذي قبلها، فيمكن اعتبار كتابي "الدين في حدود مجرد العقل" لكانط" وكتاب "فلسفة الدين" لهيجل كبداية فعلية لها، وفي هذا البحث التاريخي سنتناول مسار فلسفة الدين في الفكر الغربي، وعليه يمكن أن نصوغ إشكال هذه المقالة على شكل سؤال كلي: ماهي مراحل تطور فلسفة الدين في الفلسفة الغربية؟ بمعنى آخر إذا عهد إلى كلّ فلسفة تاريخ، أليس من المنطق المعرفي أن نسعى لكشف التشكلات المبكرة لتعامل العقل البشري مع وحي الأديان؟ وبالجملة ماهي الجدليات الفلسفية الدينية التي تطورت عبر مراحل وأنتجت لنا مايسمى اليوم بفلسفة الدين في الفكر الغربي؟

2. مراحل تشكل وتطور جدل الفلسفي والديني أو فلسفة الدين:

لقد مرّت فلسفة الدين عبر مراحل مختلفة في الفكر الغربي، وهي نفسها المراحل التي تؤرخ بها الفلسفة والفكر الغربي عموما، وهي المراحل الأربع التقليدية التالية:

- المرحلة اليونانية: وهي وإن لم تكن مرحلة مسيحية، لكنها تعتبر بمثابة المقدمة الضرورية إلى الفلسفة المسيحية، ومقدمة كذلك إلى غيرها من الفلسفات التي أتت بعدها.

- المرحلة الوسيطية: وهي مرحلة بدايات الفكر المسيحي، خاصة ما يطلق عليه باللاهوت المسيحي أو الإلهيات المسيحية التي تعتبر بمثابة إرهاصات لفلسفة الدين الحديثة.

-المرحلة الحديثة: وهي مرحلة التأمل والنظر العقلاني في الدين المسيحي والميتافيزيقا.

-المرحلة المعاصرة: وهي المرحلة التي تشعبت فيها موضوعات فلسفة الدين وتعددت فيها المناهج العقلية والنقدية في دراسة الدين.

إنّ تاريخ فلسفة الدين في الغرب المسيحي يمكن أن يأخذ شقين هما؛ تاريخ فلسفة الدين المسيحي من جهة، وتاريخ الفلسفة المسيحية من جهة أخرى[1]، كما أن تاريخ فلسفة الدين في الغرب المسيحي مُختلَف حول بدايته فمن جهة أن له بداية

[1] Bernard Punjer, translated by: W.Hastie,B.D, History of The Christian Philosophy of Religion From The Reformation to Kant, edited by Morison and Gibb for T and T Clark, Edinburgh,U.K, 1987, p viii.

محددة أي بداية ثورية انطلقت مع "كانط" ثم "هيجل"، ومن جهة ثانية بداية كانت مع ظهور المسيحية وبداية التفكير العقلاني حولها، ومن جهة ثالثة فلسفة الدين بدأت مع بداية التفكير حول الدين وهي بذلك إذن عبارة عن تراكمات وبناء ساهمت فيه مختلف العقول المفكرة لبني الإنسان.

1.2فلسفة الدين عند اليونان الفلسفة نشأت في أول أمرها عند اليونان، وإن كان هذا الأمر عليه اعتراض وفيه خلافات كثيرة، غير أن الميثولوجيا أو الفكر الديني ظهر قبل الفلسفة بوقت طويل، والأمر الذي جعل ظهورها ممكنا هو الفكرة التي تفترض أو ترى أن العالم يحكمه إله واحد أو آلهة متعددة، أو هو عالم خاضع لعقل مفارق، أونظام أوكوسموس، وكل موجودات العالم تخضع لهذا النظام بما في ذلك الإنسان، الذي يتعين عليه السير وفق قانون العالم أو الطبيعة[1]، لكن لا نجد في اللغة اليونانية نظير مكافئ لكلمة Religio التي نجدها في اللغة اللاتينية، فلم يكن اليوناني يعرف كلمة دين، ولكن كانت له مفاهيم أخرى لكن ليست بمعنى الدين، حيث كانت لهم مفاهيم مقاربة من قبيل مفهوم التقوى والمقدس والمثل والوجود، كما تحدثوا عن قوى عليا وعن الآلهة وعالم الآلهة التي كانت أمورا بديهية عندهم، ولا تخلو منها أشعارهم وأساطيرهم وتماثيلهم[2].

وقد وقف مؤرخو الفلسفة موقفين بخصوص الدين في اليونان القديمة، الموقف الذي يرى أن الدين كانت له أهمية كبرى في المجتمع اليوناني القديم وخاصة المجتمع الأثيني، وقد كانت تقام المهرجانات والتراتيل وتقدم الأضاحي التي كانت هي أهم سمة في الحياة الدينية اليونانية[3]، حتى أن الدين كان له دور في مسار الفلسفة فهو الذي مهد لها وهذا من خلال خاصيتين والتي حافظت عليهما الفلسفة بعد ظهورها، وهذين الخاصيتين هما؛ تصور وجود عقل كلي أو كوسموس يحكم الكون، والتمييز بين عالم الآلهة الكامل وعالم الإنسان الناقص[4].

والموقف الآخر الذي يرى أنه من المبالغة إعطاء أهمية كبيرة للدين في حياة اليونان القديمة، وهذا راجع لقيام المجتمع اليوناني على تعدد الآلهة وعدم تجانسها نظرا للصراعات والتحالفات القائمة بينها، ولكن هذا لم يمنع من وجود مصطلحات ومفاهيم وموضوعات ذات علاقة بالدين في كتاباتهم، كمفهوم الآلهة والمعتقدات والاحتفالات والمناسك والسماء ونظام الكون Cosmos، ونجد كثير من هذه الموضوعات في محاورات أفلاطون التي يتجلى فيها سعي الإنسان اليوناني من أجل إعطاء تفسيرات عقلية عميقة لمحاولة فهم الحياة وكيفية العيش فيها، وفهم دوره وعلاقاته داخل منظومة المجتمع والوجود ككل[5].

ويعتبر "سقراط" أحد أهم فلاسفة اليونان ويمكن اعتبار أساس الفلسفة بدأ من عنده، من الكلمة الخالدة التي أطلقها والتي جعلت من الإنسان هو صانع المعرفة، وهي كلمة "اعرف نفسك بنفسك"، هذه الكلمة التي تحمل معنى اعرف وانظر في الموجودات بما فيها نفسك بعقلك، وهي كلمة تحمل داخلها تعريف الفلسفة من ذلك الوقت إلى اليوم، وكانت فلسفته تقوم على البحث في معرفة ماهيات ومدركات الأشياء، والبحث في المناهج والطرق الموصلة إليها، وكان له ذلك عن طريق الحوار والتوليد

[1] جان غروندان، فلسفة الدين، ترجمة: عبد الله المتوكل، مؤمنون بلاحدود، الرباط، المغرب، ط1، 2018، ص 35.

[2] المرجع نفسه، ص 53-54.

[3] Richard Kraut, The Cambridge Companion to Plato, Cambridge university press, edited in 2006, p228.

[4] جان غروندان، مرجع سابق، ص 56.

[5] Richard Kraut, op.cit, p227.

العقلي للأفكار[1]، وقد اتهم سقراط في حياته وهو في سن السبعين بثلاث تهم عجلت بمحاكمته ثم موته، وهي تهم إفساد عقول الشباب، ورفض الإيمان بآلهة المدينة، والإيمان بآلهة جديدة[2].

ومهما ثبتت صحة التهم أو بطلانها، وكذلك سواء كان هذا الإيمان بإله واحد أو آلهة متعددة، فإننا مما سبق يمكن أن نستنتج قضية منطقية وهي كالتالي؛ فلسفة الدين هي نظر عقلي للدين، والإيمان مبحث من مباحث فلسفة الدين، وسقراط نظر للإيمان نظرا عقليا، إذن سقراط فيلسوف دين، إنَّه رغم هذه القضية المنطقية وهذا النظر العقلي لسقراط لمسألة الإيمان والدين والإله أو الآلهة، إلا أنا لا يمكن أن نعتبره فيلسوف دين، وذلك لعدم توفر شروط كثيرة لا تجعل منه كذلك، وهو أمر ينطبق كذلك على كل من أتى بعده ولم تتوفر فيه هذه الشروط، سواء في فلسفة الدين أو في فلسفة أخرى كفلسفة اللغة وفلسفة العلوم وفلسفة التاريخ، وهذه الشروط يمكن أن نقسمها إلى شروط عامة، وشروط خاصة، الشروط الأولى تخص الفلسفة بصفة عامة، والشروط الأخرى تخص فلسفة الدين بصفة خاصة.

ويعتبر "أفلاطون" هو أكثر الفلاسفة اليونانيين أعمق وأدوم تأثيرا بأفكاره ومفاهيمه في التفكير في الإلهيات وفي الدين عموما، خاصة تقسيمه الوجود إلى عالمين؛ عالم المثل الثابت وعالم الحس المتغير، هذين العالمين اللذين كانا عند كل من "هرقليطس" تغير ينفي الثبات و"بارمينيدس" ثبات ينفي التغير، والفلسفة الأفلاطونية تتأسس على إدراك والنظر في هذا الجانب الثابت من العالم أي عالم المثل عن طريق الجانب الثابت في الإنسان وهو عنصره الإلهي[3]، وهذا البناء الذي تأسست عليه الميتافيزيقا الأفلاطونية أي ثنائية الحقيقة الثابتة والرأي المتغير[4] يستمر حتى فلسفة الدين الحديثة ثم المعاصرة، خاصة في قراءة وتأويل النصوص الدينية والتي غالبا ما ينطلق في دراستها من التمييز بين جانب الوحي واللغة الإلهية المطلقة وجانب الفكر واللغة الإنسانية النسبية، كما أن أحد الأفكار الأفلاطونية الأكثر تأثيرا في من بعده بما في ذلك الفلاسفة المسلمين والمسيحيين هو فكرة أنه يمكن الوصول إلى معرفة الوقائع الإلهية والمعقولات بواسطة الفكر[5]، وهو أهم مبدأ في الفلسفة أي الوصول إلى معرفة الوجود بما هو موجود عن طريق العقل. العقل.

أما بالنسبة إلى "أرسطو" ذلك الفيلسوف العقلاني فلا يمكن أن ننتظر منه نظرة إلى الدين نظرة غير عقلانية، وإلا لما حدث ذلك الارتباك في نسبة أحد كتب تاسوعات "أفلوطين" إليه، وفلسفة الدين عند أرسطو تتجلى خاصة في عقلنة الإلهيات أي إعطاء تصور عقلاني لها، ونقد التقليد الميثولوجي اليوناني وهذا بمحاولة تخليص الجانب العقلاني منه عن الموروث الأسطوري والخرافي فيه[6].

2.2 فلسفة الدين في القرون الوسطى: هناك شكوك أثيرت حول وجود فلسفة عموما وبالخصوص فلسفة مسيحية من عدمه في هذه المرحلة، وقد أثيرت هذه الشكوك خاصة منذ عصر الحداثة من طرف المؤرخين والفلاسفة، لكن القول بعدم وجود أو عدم

[1] عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص577.
[2] جورج راديوش، سقراط، ترجمة: أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014، ص40.
[3] جان غروندان، مرجع سابق، ص 60-61.
[4] المرجع نفسه، ص 62.
[5] المرجع نفسه، ص 65.
[6] المرجع نفسه، ص 80.

أصالة فلسفة مسيحية يثير التساؤل حول مصدر الأفكار اللاهوتية في الفلسفة الحديثة، لكن هناك من دافع على هذه المرحلة فهي ليست صفرا من الفكر والفلسفة[1]، وتعتبر هذه المرحلة التاريخية من طرف الكثير من مؤرخي الفلسفة وفلاسفة الدين هي الخلفية التاريخية للفلسفة الحديثة والمعاصرة وبالتالي لفلسفة الدين، أوهي بالأحرى بداية فلسفة الدين عند بعضهم، إن أهم موضوعين تناولتهما الفلسفة المسيحية هما؛ الله الذي هو أصل كل الموجودات وفكرة الخلق هذه الفكرة الأخيرة التي لم يدرسها الفلاسفة اليونانيون أو ربما لم يعرفوها[2].

لكن المشكلة الأساسية التي حاولت هذه الفلسفة المسيحية حلها هي الجمع بين الفلسفة والدين دون الوقوع في التناقض أو تغليب طرف على حساب الطرف الآخر[3]، الأمر الذي يتفق عليه مؤرخو الفلسفة أن مرحلة العصور الوسطى كانت مرحلة أفكار وآراء دينية، والأمر الذي يختلفون حوله هو كون هذه الأفكار والآراء ذات طبيعة فلسفية، إن فكر وفلسفة القرون الوسطى كانت ذات توجه ديني بحت فقد كان الدين المسيحي هو الذي يحدد رؤية الإنسان لنفسه وللكون وللحياة والعلم، ولكل شكل من أشكال التفكير، وكان الفكر الفلسفي يدور اهتمامه حول أحوال الآخرة وعالم الغيب[4]، فقد انقسموا إلى ثلاث آراء حول طبيعة الفكر المسيحي، رأي يرى أن تلك الأفكار كانت علم دفاع عن المعتقدات الدينية المسيحية خاصة معتقدات المسيحية الكاثوليكية، ورأي ثان يرى فيها مجرد أفكار دينية بحتة أي مجرد لاهوت، ورأي أخير اعتبرها فلسفة حقة[5].

وإذا تحدثنا عن مصادر الفلسفة المسيحية فإن أغلب المؤرخين يرجعونها إلى مصدرين أساسين، ماجعل الفلسفة المسيحية تبدو كامتداد لهما أكثر مما هي ذات أصالة واستقلالية، وهما الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية[6]، لهذا يمكن أن تعتبر هذه الفلسفة من جهة توفيقية بين الدين والفلسفة، ومن جهة أخرى تركيبية بين عدة فلسفات سابقة عليها خاصة الفلسفة اليونانية بمختلف فروعها والفلسفة الإسلامية والفلسفة اليهودية بالإضافة إلى المسيحية، ومن أعلام هذه المرحلة نجد القديس "أوغسطين" الذي تعتبر فلسفته تركيب بين الأفلاطونية والمسيحية، كما تعتبر فلسفته ذات أهمية لفلسفة الدين والفكر الديني الذي جاء بعده، فهو يعتبر بمثابة المحطة الذي التقت فيها الفلسفة اليونانية خاصة فلسفة "أفلاطون" و"أفلوطين" و"فورفوريوس" وتأثر بـ"شيشرون" وبآباء الكنيسة المسيحية من أمثال "أوريجن" و"جيروم" و"أمبروسيوس"[7].

وبعد التحولات التي عاشها "أوغسطين" بين الفلسفة والأفلاطونية وصولا إلى المسيحية توصل إل قناعة أوهي التي حددت فكره في الأخير، وهي أن الغاية من الفلسفة هو تحصيل السعادة وطريق الحياة السعيدة ليست شيئا غير إتباع الدين الحقيقي، وعليه يحاول "أوغسطين" التوفيق بين الفلسفة والدين وجعل طريقهما وغايتهما واحدة[8]، كما أنه يجعل العقل ممهدا للإيمان أي "تعقل كي

[1] إيتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 1996، ص13.
[2] المرجع نفسه، ص14.
[3] المرجع نفسه، ص23.
[4] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط1935، ص61.
[5] إيتين جلسون، مرجع سابق، ص24.
[6] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ص09.
[7] جان غروندان، مرجع سابق، ص 96.
[8] المرجع نفسه، ص 100.

كي تؤمن" وبعد الإيمان يكون دور العقل هو تفهم هذه العقائد الإيمانية أي "آمن كي تتعقل"[1]، وهذا الإدماج الأوغسطيني بين الفلسفة والدين واعتبار الدين فلسفة سيأتي بعد ذلك من يحاول التفكير فيهما كطرفين منفصلين دون غاية واحدة[2].

أما "توما الإكويني" 1224-1274 ذو التوجه الأرسطي فيبدو أن منطق وفلسفة "أرسطو" لم تؤثر فيه بالقدر الكافي في بحث الدين المسيحي وموضوع الإلهيات، فإدراك حقائق الوحي لا يمكن الوصول إليها عن طريق العقل وحده، فالعقل لابد له من نور الوحي الإلهي لكي يدرك هذه الحقائق، أما النور الذاتي للعقل فهو لا يدرك إلا حقائق الطبيعة، فنور الإيمان من نور العقل الذي نوره من نور الوحي، و العلم عنده نازل من أعلى إلى أسفل من الميتافيزيقا إلى الرياضيات إلى الطبيعيات وهو تقسيم "أرسطو" للعلوم، فتكون الميتافيزيقا هي العلم الموجه لغيره من العلوم[3]، كما أنه يميز بين هذا اللاهوت الطبيعي الذي يعتمد الحس والتجربة أي أي طريق "أرسطو" للوصول إلى الحقائق الطبيعية وحتى الاستدلال العقلي على المعتقدات الإلهية، واللاهوت الوحياني الذي يعتمد نور الوحي للوصول إلى الحقائق العقائدية[4].

وما نلاحظه على هذه المرحلة هو أنَّ الفكر كان موجها من طرف الميتافيزيقا أو الدين هو ما جعل الكثير من المؤرخين الغربيين ينكرون وجود فلسفة مسيحية أصيلة، وأن وجود فكر فلسفي في هذه المرحلة ماهو إلا تركيب لفلسفات سابقة مع الدين المسيحي، وهو فكر كان ينتجه رجال الكنيسة المسيحية الكاثوليكية.

3.2 فلسفة الدين في القرون الحديثة: إن الصراع الذي كان بين العقل والدين في القرون الوسطى سيحسم لصالح العقل في القرون الحديثة، وبالضبط مع العقلانيين بزعامة "رينيه ديكارت" والتجريبيين بزعامة "فرانسيس بيكون"، ويعتبر مؤرخو الفلسفة أن الفلسفة الحديثة بدأت مع هذين العقلين الكبيرين، والفلسفة الحديثة بدأ تشكلها من جهة من خلال الارتباط بالعقل والعلم والحرية أي الارتباط بالإنسان وكأنها ولادة جديدة للفلسفة تشبه بدايتها الأولى التي كانت مع "سقراط" الذي حول الفلسفة من النظر في الطبيعة إلى النظر في الإنسان، ومن جهة أخرى قطيعة مع الخرافة والأسطورة وكل الأوهام التي شكلت بنية فكر القرون الوسطى، وما يمكن اعتباره من أساسات عصر النهضة والفلسفة عموما والذي تأسست عليه الفلسفة ومازالت ترتكز عليه هو فكرة النقد أو القطيعة مع الماضي وماكان عليه الآباء، وإلى هذه المرحلة يرجع فلاسفة الدين ومؤرخو الفلسفة بدايات الظهور الحقيقي لفلسفة الدين ، فمصطلح "فلسفة الدين" لم يرى النور إلا في القرن التاسع عشر[5]، لكنها أصبحت حقلا معرفيا مستقلا عن غيره من حقول المعرفة الفلسفية، له حدوده وموضوعاته ومناهجه منذ نهاية القرن الثامن عشر، ويعتبر أغلب المؤرخين أن فلسفة الدين لم تكن شيئا يذكر قبل كتابي "الدين في حدود مجرد العقل" للفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" الصادر سنة 1793 وكتاب "فلسفة الدين" لهيجل" الذي صدرت أولى محاضراته سنة 1832[6].

---

[1] يوسف كرم، مرجع سابق، ص30.

[2] جان غروندان، مرجع سابق، ص 102.

[3] لويس غرديه وج. قنواتي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج1، ترجمة: صبحي الصالح وفريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1979، ص231-232.

[4] عبد الجبار الرفاعي، موسوعة فلسفة الدين، ج1: تمهيد لدراسة فلسفة الدين، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، العراق، ط1، 2014، ص8.

[5] William J. Wainwright, The Oxford Handbook of Philosophy of Religion, Distinguished Professor of Philosophy, University of Wisconsin, Milwaukee, p3.

[6] Bernhard punjer, op.cit, p2.

فالفيلسوف الألماني "كانط" هو أول من جعل فلسفة الدين كمبحث فلسفي مستقل، وهذا في كتابه "الدين في حدود مجرد العقل"، ويعتبر هذا الكتاب كبداية منهجية لظهور مبحث فلسفي نسقي مستقل وهو فلسفة الدين، لكن رغم هذه البداية التاريخية المحددة إلا أن البعض يرى أن محتوى وأفكار هذا الكتاب لم تظهر فجأة من طرف صاحبه، بل تسبقه إرهاصات فكرية ساهمت في بنائه وظهوره وهي تمتد عند مختلف الفلاسفة الذين سبقوه، وهذه الإرهاصات لم تعتمد على المنهج العقلي وحده في بحث الدين، بل كان يغلب عليها الطابع الدفاعي عن الدين[1]، أي كان يغلب عليها المناهج الجدلية والبيانية التي كانت ترتكز على اللغة الدينية النصية، والتي يعتمد أصحابها على مسلمات عقدية قبل البحث في أي معرفة دينية، وغاية البحث عندهم هو الدفاع عن العقائد الدينية، وهذا ما نجده في كل من اللاهوت المسيحي وعلم الكلام الإسلامي.

إن فكر القطيعة والنقد الذي كان دائما قرين الفلسفة خاصة منذ عصر النهضة هو الذي أسس عليه الفلاسفة نظرتهم للدين وللوجود ككل، فهذا "فرانسيس بيكون" يرى أنه للوصول إلى اليقين لابد من التخلص من الأوهام والتصورات التي استحوذت على العقل البشري، وهي أربعة أنواع تحدق بهذا العقل وهي أوهام القبيلة وأوهام الكهف وأوهام السوق وأوهام المسرح[2]، وهي نفس النزعة النقدية نجدها عند "ديكارت" وهو الذي يسميها الشك، فهو يرى أنه لابد أن نضع الكثير من الأشياء والأفكار والانفعالات موضع الشك فمتى ثبت أنها باطلة تركناها وهذا هو طريق اليقين[3].

أما نظر "ديكارت" للدين رغم نزعته العقلانية النقدية إلا أنه كان متوافقا مع آراء وغايات الكنيسة في الدفاع عن الدين رغم اختلاف منهجهما، فـ"ديكارت" سعى جاهدا إلى إثبات العقائد الدينية عن طريق البراهين العقلية كإثبات وجود الله وخلق العالم وخلود النفس، وهو نفس العقل التبريري والدفاعي للدين في القرون الوسطى المسيحية التي كان الإيمان فيها يسبق العقل، فالله هو الضامن لصدق الحقائق خاصة الحقائق الدينية التي هي فوق حدود العقل، ويعتبر الفيلسوف "باروخ سبينوزا""Baruch Spinoza" 1632-1677 هو الديكارتي الوحيد الذي طبق المنهج الديكارتي جذريا في مجالات استبعدها ديكارت من منهجه النقدي أو الشكي، فهو الفيلسوف الأكثر جرأة في نقده للدين والتاريخ والكتاب المقدس[4].

ويعتبر تقويض "سبينوزا" للكتاب المقدس- والذي كان إلى عهد قريب ومازال يعتمد تمثلات الأنبياء التاريخية في زمانهم وتحت وصاية وتفسير رجال اللاهوت- كان عن طريق نمط معرفة مخالف وهو معرفة الكتاب المقدس عن طريق العقل الطبيعي وملكة الفهم[5]، وهكذا نرى طريق معرفة الدين بدأ بمعرفة الدين بالدين ثم برجال الدين ثم بالدين وبرجال الدين والعقل، وهكذا نرى نرى العقل بدأ يدخل شيئا فشيئا إلى المجال الديني إلى أن استقل به لوحده، وبدأ هذا الأمر أول مابدأ مع "كانط" في كتابه "الدين في حدود مجرد العقل" وهذا ما أشرنا إليه سابقا، لكن هناك من يرى أن "كانط" رغم جرأته في نقد بعض العقائد الإيمانية إلا أنه لم يكن إلا مجرد موفق بين الدين والعقل وبعض آرائه كانت متوترة وبعض مواقفه كان قد حسمها لصالح اللاهوت البروتستانتي،

[1] محمد عثمان الخشت، مدخل إلى فلسفة الدين، دار قباء، القاهرة، مصر، ط2001، ص07.

[2] فرنسيس بيكون، الأورجانون الجديد: إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة، ترجمة: عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص28-29.

[3] رينيه ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة: عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط2009، ص71.

[4] باروخ اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص09-10.

[5] جان غروندان، مرجع سابق، ص126-127.

فمشروعه النقدي لم يكن يصبو إلى إزاحة الدين من حياة البشر ومن طريق العقل، وهذا راجع إلى أن تكوينه العلمي وتربيته الإيمانية لا يسمحان له بترك العقل ولا بترك الدين، فالفلسفة الحقيقية هي التي تنمو في إطار الفكر العلماني البعيد عن أي شكل من أشكال السلطة التي تفرض الإيمان والتسليم[1].

لكن رغم ذلك يعتبر "كانط" ومن بعده "هيجل" رواد فلسفة الدين في العصر الحديث، وقد رأى "هيجل" أنه من الضروري جعل الدين موضوع للنظر الفلسفي، وأن يدرس كشكل خاص من أشكال التفلسف[2]، وقد حاول "كانط" أن يجرد الدين من كل ماهو غير ديني، وهذا ماجعل "فريدريك شلايرماخر" يصدر كتابه "عن الدين: خطابات لمحتقريه من المثقفين" كرد على "كانط" وكتابه"الدين في حدود مجرد العقل"، وقد وضع فيه "شلايرماخر" نظريته في الفهم أو الهرمنيوطيقا، حيث يرى أن الدين لا يمكن أن يجرد من غير الدين أي من الفهومات والتفسيرات التي تحيط به خاصة في مجال النصوص الدينية، وقد أتى بعد "هيجل" فلاسفة فكروا في الدين تفكيرا فلسفيا أو أنهم وجهوا سهام النقد لكل أشكال الدين المعنوية والسلوكية، وكان رد الفعل القوي ضد الدين من طرف "كارل ماركس" Karl Marx 1813-1883 الذي اعتبر الدين أفيون الشعوب، والدين أو بالأحرى الفكر الديني التبريري الذي هو نتيجة الواقع المزري ويبرر هذا الواقع نفسه كنوع من الاديولوجيا للمواساة، وهذا الفكر التبريري لما أتى"نيتشه" لم يمهله كثيرا حتى وجه له نقدا يمس مركز أومصدر إلهامه عندما أعلن موت الإله[3].

واستمر نقد الدين والفكر الديني في كثير من الفلسفات والعلوم التي استقلت بموضوعاتها ومناهجها خاصة نقد الدين من طرف علماء علم النفس وعلى رأسهم "فرويد" الذي اعتبر الدين شكلا من أشكال العصاب الجماعي.[4]

4.2 فلسفة الدين في المرحلة المعاصرة: الفلسفة المعاصرة تطلق عادة على فلسفة القرن العشرين، قرن العقل الأداتي والنزعة العلمية وقد ظهرت الحركة الفلسفية الأكثر تأثيرا وأهمية في هذا القرن في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي ماتسمى بالبراغماتية Pragmatism وقد قسم فلاسفتها إلى قسمين هما: فلاسفة النصف الأول من القرن أمثال " تشارلز ساندرس بيرس" -1839 1914 Charles Sanders Pierce والذي يعتبر هو مؤسس البراغماتية و"وليم جيمس" و"جون ديوي" John Dewey 1859-1952وفلاسفة النصف الثاني من القرن أمثال"ولفرد سلارز" Wilfrid Salars و"هيلاري بوتمان" Hilary Putman و"نلسن غودمان" Nilson Goodman و"رتشارد رورتي" Ritchard Rorty و هؤلاء الفلاسفة خاصة فلاسفة النصف الأول جمعوا بين البراغماتية والنزعة الطبيعية في تعاملهم مع الموضوعات الدينية، كموضوعات التجربة الدينية وطبيعة الحقيقة الدينية واللغة الدينية [5].

لكن التوجه الغالب في هذه الفلسفة البراغماتية بداية من "بيرس" هو اعتبار الدين مثل العلم بمعنى أن نبحث موضوعات الدين مثلما نبحث الظاهرة العلمية ويجب البحث عن الحقيقة الموضوعية فيه دون غيرها واختبار مذاهبه بواسطة التجربة، والدين هو

---

[1] محمد المزوغي، عمانوئيل كانط: الدين في حدود العقل أو التنوير الناقص، دار الساقي ورابطة العقلانيين العرب، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص01-02.

[2] فريدريك هيجل، محاضرات فلسفة الدين: الحلقة الأولى مدخل إلى فلسفة الدين، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص23.

[3] جان غروندان، مرجع سابق، ص140-141.

[4] المرجع نفسه، ص142.

[5] Charles Taliaferro, Paul Draper, and Philip L. Quinn, A Companion to Philosophy of Religion,1st edition, 2010, Wiley-Blackwell, UK, P143.

شعور كوني وطريقة للحياة أكثر منه طريقة للاعتقاد[1]، وهذا ما يميز فلسفة الفعل والواقعية عن فلسفة التأمل والمثالية فالفكرة تحدد قيمتها بقدر ماتحققه من منفعة للإنسان في حياته وواقعه المعاش، وهو تصور يشبه إلى حد بعيد تصور الوضعية والوضعية المنطقية التي تستبعد ماتعتبره من الميتافيزيقا كالدين من مساحة التفكير والعمل الذي له معنى.

وهكذا وإن كانت الوضعية المنطقية تستبعد الدين من البداية باعتباره خالي من المعنى، فإن البراغماتيين لايستبعدونه ابتداء ولكن يستبعدونه متى لم يحقق منفعة للإنسان، وفي كلتا الفلسفتين المهمتين في القرن العشرين أي البراغماتية والتحليلية لم يكن الدين ذا أهمية كبيرة لهما في بناء فلسفتيهما، ولكن كانت لهما تحليلات صارمة للأفكار والمواقف والرؤى الدينية هذه التحليلات كان لها الأثر البالغ فيما بعد في معالجة القضايا الدينية، وقد بدأ الرجوع للدين والنزعة الإنسانية بعد النكستين اللتين عرفها الإنسان الأوروبي في القرن العشرين وكان هذا الرجوع خاصة مع الفلاسفة الوجوديين، حيث راحوا يعالجون مشكلات ميتافيزيقية بالأصالة كالوجود والإنسان والحرية والموت[2]

وقد ازدهرت فلسفة الدين في النصف الثاني من القرن العشرين، فقد أصبح هناك الكثير من الكتابات حول هذا الفرع الفلسفي، وأصبح هناك الكثير من الذين تفلسفوا حول الدين ينعتون أنفسهم بفلاسفة الدين[3]، مثل كثير من الفلاسفة الذين أطلقوا على أنفسهم أو أُطلق عليهم اسم فلاسفة في فروعهم الفلسفية، مثل فلاسفة الأخلاق وفلاسفة السياسة وفلاسفة التاريخ، حيث ظهر العديد من فلاسفة الدين الغربيين الذين تحمل إحدى مؤلفاتهم عبارة "فلسفة الدين"، وقد كانت الموضوعات التي بحثوها هي تقريبا الموضوعات التقليدية نفسها كأدلة وجود الله ومشكلة الشر وما بعد الموت والمعجزة، أما الموضوعات التي الجديدة أو التي أخذت شكل الجدة مثل موضوعي الإيمان والإلحاد اللذين أخذا اهتماما بالغ الأهمية في فلسفة الدين الغربية المعاصرة، كما نجد موضوعات أخرى مثل اللغة الدينية والتعددية الدينية والتجربة الدينية والمعنوية والعقلانية الدينية بالإضافة إلى موضوعات أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها.

3. خاتمة:

وما نخلص إليه أن النظر في الدين قد مر بعدة مراحل وتطورات، فمذ أن كان في هامش الفكر الفلسفي عند اليونان تحول إلى مركز الفكر عند الفلاسفة المسيحيين الوسطويين والحداثيين، كما أنه كان غالبا موضوع دفاع في الفلسفة اليونانية والعصور الوسطى، وقد ظهرت فلسفة الدين في العصر الحديث وساعد على ظهورها عوامل عدة أهمها هيمنة المنهجية العلمية التجريبية والمنهجية العقلانية النقدية، اللتان أصبحتا تجردان الدين والكتاب المقدس من تلك الهالة التي كان يكتسيها في القرون الوسطى، فأخذت تُظهر تناقضاته مع الطبيعة ومع العقل، وهنا تحرر العقل النقدي وأخذ ينظر في الدين والكتاب المقدس ويُعمل فيهما كل إمكاناته النقدية، إلى درجة إنكار هذا الدين وضرورة استبعاده من حياة الإنسان ومن موضوعات تفكيره، لكن مع نهاية القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة نلاحظ عودة إلى بحث موضوعات الظاهرة الدينية مثل موضوعات الإيمان والإلحاد والتعددية الدينية والدين العقلاني، وكان من أسباب هذا الرجوع إلى مباحث فلسفة الدين هو مآزق الحداثة ومابعد الحداثة التي وصل إليها الإنسان والتي وعد بخلافها.

---

[1] Ibid, P144.

[2] إ. م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قرني، عالم المعرفة، الكويت، ط1992، ص213-214.

[3] Brian Davies, An Introduction to Philosophy of Religion, Oxford university press, Oxford, 2nd edition, 1993, p ix

4. قائمة المراجع:

1.6 قائمة المراجع باللغة العربية:

01 بوشنسكي إ.م. ، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قرني، عالم المعرفة، الكويت، ط1992.
02 جلسون إيتين ، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 1996.
03 اسبينوزا باروخ ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة:حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
04 غروندان جان ، فلسفة الدين، ترجمة: عبد الله المتوكل، مؤمنون بلاحدود، الرباط، المغرب، ط1، 2018.
05 راديبوش جورج ، سقراط، ترجمة: أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014.
06 ديكارت رينيه ، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة: عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط2009.
07 محمود زكي نجيب ، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط1935.
08 الرفاعي عبد الجبار ، موسوعة فلسفة الدين، ج1: تمهيد لدراسة فلسفة الدين، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، العراق، ط1، 2014.
09 بدوي عبد الرحمان ، الموسوعة الفلسفية، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984.
10 بيكون فرنسيس ، الأورجانون الجديد: إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة، ترجمة: عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013.
11 هيجل فريدريك ، محاضرات فلسفة الدين: الحلقة الأولى مدخل إلى فلسفة الدين، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
12 غرديه لويس وقنواتي ج. ، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج1، ترجمة: صبحي الصالح وفريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1979.
13 المزوغي محمد ، عمانوئيل كانط: الدين في حدود العقل أو التنوير الناقص، دار الساقي ورابطة العقلانيين العرب، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
14 الخشت محمد عثمان ، مدخل إلى فلسفة الدين، دار قباء، القاهرة، مصر، ط2001.
15 كرم يوسف ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر.

2.6 قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

01 Punjer Bernard, translated by: W.Hastie,B.D, History of The Christian Philosophy of Religion From The Reformation to Kant, edited by Morison and Gibb for T and T Clark, Edinburgh,U.K, 1987.
02 Davies Brian, An Introduction to Philosophy of Religion, Oxford university press, Oxford, 2nd edition, 1993.
03 Taliaferro Charles, Paul Draper, and Philip L. Quinn, A Companion to Philosophy of Religion,1st edition, 2010, Wiley-Blackwell, UK.
04 Kraut Richard, The Cambridge Companion to Plato, Cambridge university press, edited in 2006.
05 Wainwright William J, The Oxford Handbook of Philosophy of Religion, Distinguished Professor of Philosophy, University of Wisconsin, Milwaukee.